دلالات الأبنية الصرفية

في سورة الكهف

م .م . وسام مجيد حسن
جامعة بغداد / كلية التربية – ابن رشد / في قسم علوم القرآن

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا لا ينبغي إلا لجلال وجهه وعظيم سلطانه والصلاة والسلام على هادي الأنام البشير النذير والسراج المنير أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر المنتجبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد :

فمنذ أن لامس رحيق النص القرآني شغاف القلوب هامت به تلاوة وتدبر فقد سطر على صفحات الصدور قبل أن يخط على السطور فجيل بعد جيل ينهل من معينه الصافي ويدلو بدلوه في خضم بحوره التعبيرية والعلمية وغيرها من الموضوعات التي أنطوى عليها النص الشريف وما هذا البحث المتواضع إلى وقفة تأملية وإسهامه على طريق خدمة النص القرآني وتبريز جانباً من جوانبه التعبيرية وقد جاء البحث بعنوان (دلالات الأبنية الصرفية في سورة الكهف) ولعل اختيارنا لهذه السورة الشريفة دون غيرها من السور يكمن في اعتمادها أكثر من غيرها على الجوانب الغيبية المتعلقة بالقصص الأربعة التي تناولتها تلكم السورة وقد اقتضت طبيعة البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة فبعد أن أشارة المقدمة إلى أهمية الموضوع وأسباب اختياره جاء المبحث الأول تحت عنوان اسم الفاعل والصفة المشبهة به وقد تناول اسم الفاعل وشروط عمله ثم أنتقل إلى السورة المباركة وحالات وروده فيها كونه عاملاً مرة وغير عامل مرة أخرى وأر ذلك في التعبير ثم أنتقل إلى الصفة المشبهة ودلالاتها في السورة الكريمة ، ثم جاء المبحث الثاني بعنوان اسم التفضيل وقد تناول أنواع المفاضلة وحالات اسم التفضيل وأثر ذلك كله في السورة الشريفة ، وقد خصص المبحث الثالث لي الأفراد والجمع والعدول من الأفراد إلى الجمع وبالعكس ، ثم جاء المبحث الرابع ليتناول قضية البناء للمجهول فالخاتمة التي تناولت أهم النتائج التي توصل إليها البحث ، فقائمة المصادر والمراجع .

فأننا قد بذلنا الجهد رفي أن نقترب بعض الشيء من النص القرآني تشرفاً وخدمة وتوضيحاً وتذكيراً لأبناء الجيل أن يعيدوا النظر في قراءة النص القرآني والوقوف عند بعض أسراره التعبيرية التي غفل عنها في زحمة مشاكله اليومية .

المبحث الأول : أسم الفاعل والصفة المشبهة

أ – اسم الفاعل

اسم الفاعل اسم مشتق من الفعل فيدل عليه وعلى من قام بالفعل [1]وهو من المشتقات التي يقترن به التنوين في كثير من الأحيان ولكن ضمن غايات يحققها دلالية معنوية وجمالية صوتية وتصويرية التنوين فيها يسهم في صياغتها وتشكيلها فقد وردت صيغت اسم الفاعل خمس وثلاثين مرة وهذا التكرار له دلالة أسلوبية متميزة.

إذ إن صيغة اسم الفاعل أمام اختيار بين الاسمية والفعلية وبين الثبات واللزوم وبين التجدد والحدوث نلمس أثر ذلك في أمثلة مختارة تمثل جوانب من هذه الظاهرة فاسم الفاعل باخع في قوله تعالى : ((**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آَثَارِهِمْ**))6 ،فتظهر حوله في الآية ظاهرتان لغويتان متلازمتان صوتية وصرفية , الصوتية مبعثها طبيعة الأصوات والترتيب ألمخرجي والتنوين فالباء حرف شفوي والألف حرف مد والخاء لما فيه من شخير وهو من حروف أدنى الحلق والعين من أوائل حروف الحلق وهو متوسط مجهور والتنوين تلاه النون فكان الإدغام والغنة ذلك الصوت الجميل .

وأما الصرفية من لفظ باخع الذي وصف حال الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم الواجد على قومه الذين كذبوه ويكاد هذا الحزن يقتله وهذا اللفظ دل دلالة إنطباقية مماثلة فحاله صلى الله عليه وآله وسلم كحال الذبيحة عندما يفتح الذابح فتحة صغيرة في رقبتها تتسع بحركة السكين فيولد هذا صوتً احتكاكياً يشبه الشخير فصوت الخاء يماثل صوت العظم إذ إن البخع وصول الذبح إلى العظم [2] ، وأما تنكير اسم الفاعل فقد يحذف التنوين أو يبقى فيكون اسم الفاعل عامل فيما بعده ليدلّ دلالة أخرى أكثر عمقا .

إذ إن اسم الفاعل إذا عمل اقترب في دلالته إلى الفعل والحدوث وارتباطه بالمستقبل أكثر من الاسمية فيدل على التغير والتجدد وقريب إلى هذا ما ذكره احد الباحثين (ذلك إن اسم الفاعل يدل على المستقبل فقط عندما يكون عاملا وعامله وصحيح معموله منصوبا أما في حالة الإضافة فيقترب اسم الفاعل من السمية ليدل على اللزوم والثبات)[3] ولعل هذا ما يفسر خلاف العلماء في تبويب اسم الفاعل .

والآيات التالية فيها أمثلة توضح دلالة الثبات واللزوم على التوالي فمن الثابت في العقيدة أن الله غني عن العالمين ولذا جاء اسم الفاعل غير عامل في قوله تعالى ((**وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا**)) 51 , وحالة اليقين التي وصل إليها أهل النار عندما رؤوها ((**فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا**)) 53 , فكان اسم الفاعل مواقعوها مضافا غير عامل علما أن الحدوث سيكون

في المستقبل من الزمن يلاحظ من الآيتين السابقتين أن اسم الفاعل لم يعمل عمل الفعل بل جاء مضافا إلى معموله وهذا ممّا يقربه من دلالة الاسم الدال على الثبات واللزوم أكثر من الفعل فاسم الفاعل متخذ يدل على الثبات في الحكم الإلهي القاطع والثابت بعدم اتخاذ المضلين عضدا[4] وكذلك الحكم في الآية الثانية فاسم الفاعل مواقعوها جاء مضافا فلم تلحق به النون ليدل على أن الكافرين قد أيقنوا يقينا لا شك فيه أنهم ثابتون خالدون في حالتهم هذه في نار جهنم [5] .

فإذا كان أهل جهنم هذا حالهم فإن أهل الجنة حالهم مختلف فهم ماكثين في نعيمها أبدا قال تعالى : ((**وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِيْنَ الَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرَاً حَسَنَاً مَاكِثِيْنَ فِيْهِ أَبَدَاً**)) 3 ، فأي ثبات بعد هذا وتظهر دلالة التغير لاسم الفاعل في الآيات الآتية فقد وردت الآيات على هذه الظاهرة في وصف هيئة الفتية أصحاب الكهف وكلبهم إذ صوروا متقلبين قال عز وجل : ((**وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ**)) 18 ,

فاسم الفاعل (باسط) الذي جاء منونا فإنه يدل على انه يعمل عمل الفعل [6]، وهذا مما يقربه من دلالة الفعل الدال على الحدوث والتجدد والتغير ، مما جعل من اسم الفاعل باسط مساعدا في التصوير وتحريك الصورة في مستوى يقتضيه حال الفتية .

ويظهر اسم الفاعل في صورة حال الدنيا المتقلب المتغير في قوله تعالى : ((**وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا**)) 8 ، فالله عز وجل يغير حال الدنيا من حال الى حال، فتناسب اسم الفاعل العامل مع الصورة والتعبير أكثر من غيره من الصيغ اللغوية .

وتتكرر ظاهرة التغير مع اسم الفاعل في قوله تعالى : ((**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا**)) 42، فاسم الفاعل خاوية جاء منونا ، وهو في جملة حالية ــ والحال بطبيعتها متنقلة [7] ليدل على التغير وعدم الثبات . فالسياق يدل على أن الجنة كانت مثمرة فتغير حالها من النظرة والعطاء إلى حال الدمار والخراب .

فشكل اسم الفاعل في الآية السابقة ظاهرة أسلوبية متميزة ، وذلك أنها تدل على التغير وعدم الثبات سواء فيما سيكون أو فيما كان ، وإنها تتكرر في جملة حالية ، أسهمت جميعها في إبراز صور فنية كان اسم الفاعل يمثل عنصر عمقٍ وحركةٍ وتأثيرٍ .

اسم الفاعل يقترن به التنوين في كثير من الأحيان ، فيحقق دلالة جمالية صوتية أو بعدا صوتيا بين احتمالين ، ففي حال الحذف يتحقق عنصر الخفة في باب الإضافة اللفظية ، وفي حال إبراز التنوين يظهر أثره صوتا ومعنى ، وبذا تجتمع أو تغلب جوانب جمالية ومعنوية وتصويرية ، يسهم اسم الفاعل منفردا أو والتنوين في صياغتها وتشكيلها ، وقد احتل اسم

الفاعل مركزا في الآيات رغم تبادل الموقع الذي يمثله بين المسند والمسند إليه ، وبين حالتي التغير والثبات ، ومثل ذلك التغير في قوله تعالى :

((**وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا**)) 19 .

فالتنوين من حيث الدلالة والمعنى يفيد التنكير أو يقترن بالنكرة في بعض الحالات التي يأتي عليها ، فلا يهم أيّ الفتي الذي قال وسأل ، فالتنوين يشعر بالقطع عما بعده ، ولكن التركيز على الهدف والمغزى في السورة والحدث أكثر من التركيز على العناصر الثانوية كالعدد مع الفتية مثلاً ، أو المكان الذي كانت تتم فيه الأحداث مع موسى (عليه السلام) والعبد الصالح ، إضافة إلى البعد الصوتي المتشكل من الإدغام المصاحب لصوت الغنة الجميل بين التنوين والميم .

ودلالة النهي تظهر مع صيغ اسم الفاعل في قوله تعالى : ((**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا**)) 23 ، اسم الفاعل (فاعلٌ ذلك) قد لحقه التنوين مما جعل دلالة اسم الفاعل تقترب من دلالة الفعل ،ولهذه الصياغة دلالة عميقة ، فاسم الفاعل هنا يدل على عدم التأكد من حصول الفعل في المستقبل لدى المتكلم ولا يمكن له ذلك ، ولهذا فإن الله تعالى ينهى العبد عن مثل هذه الصيغة ليجعل أمره مرتبطا بمشيئة الله [8].

وتتكشف صورة صاحب الجنتين وظهور حالته النفسية في الآية الكريمة : ((**وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا**)) 35 ، فاسم الفاعل في هذا النمط من التركيب جزء من الجملة العادية ذات التكرار الواسع في هذه السورة ، لتشكل ظاهرة أسلوبية ومن خلال متابعة أحداث القصة نجد عمق التركيب في صيغة اسم الفاعل ، ودلالة التنوين الذي لحق به حدد عدم الثبات .

فكان الرجل ظالما لنفسه في اللحظة التي كانت سببا في وقوع العقوبة عليه ، ولكنه بعد ذلك ارتد وندم ، ونلمس ذلك في الآية : ((**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا**)) 42 ، فلو كان اسم الفاعل مضافا لدل ذلك على أنه دام على عناده .

وبذلك عبرة وهي أن بابا العودة إلى الله لا يوصد والأمل في التوبة ممكن . وفي قوله تعالى : ((**وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا**)) 35، فسياق الجملة، وهو ظالم ، واقع حالاً [9]، والحال في الأغلب تدل على تغير .

ولذا جاء اسم الفاعل منونا أي عامل في كلمة نفس في سياق هذه الجملة الواقع فيها خبرا ، واسم الفاعل أذا عمل أعطي دلالة الفعل في التغير وعدم الثبات ، فيشكل التركيب اللغوي انسجاما بين اللغة ودقة المعنى ، واللام في (لنفسه) حرف جر ،

إذا أجرينا عليه إجراء الحذف ، لوجدنا العبارة ، ظالمٌ نفسَه ، فاللام استخدمت لغرض بلاغي تفيد اختصاص الظلم التحقق لنفس صاحبها وقصره عليها ، إذ بإسقاطها قد يكون الظلم شاملا لنفسه والآخرين وأشياء أخرى، أما من الناحية الصوتية، فإذا حذفت اللام فتكون العبارة، وهو ظالمٌ نفسه، فتتشكل ظاهرة صوتية من التنوين والنون، ولتقاربهما فإنهما يدغمان، والإدغام يلجأ إليه للتخلص من وضع نطقي صعب ، أو لتشكل انسجام صوتي ، وهذا متحقق لوجود اللام الفاصلة بين التنوين والنون ولا صعوبة في النطق تلحظ .

وتظهر بعض الإجراءات التقابلية الاستبدالية مدى العمق الدلالي في اسم الفاعل . فقد جاء اسم الفاعل مجردا من التنوين في قوله تعالى: ((**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**)) النحل 28 ، فهو مضاف إلى معموله ، ليدل على اللزوم والثبات ، وهذا هو حال الكافرين في ثباتهم على كفرهم حتى الموت ، فوجود النون يخفي ظاهرة المد صوتا ودلالة مما يؤكد تناغم ظواهر الصوتية والدلالية في النص الأدبي .

ولذا اخفت النون ليظهر المد ودلالته . ومثل ذلك دلالة اسم الفاعل وإسهامه في رسم الصورة وإظهار البعد النفسي في قوله تعالى : ((**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**)) 49،

اسم الفاعل (مشفقين) وقع مقترنا بالنون (المقابل الصوتي للتنوين ، ليضفي جرسا موسيقياً وبعدا في التصوير النفسي ،إضافة إلى حالة التشتت التي تلمح من صوت الشين الانتشاري . فيتوافق البعد الصوتي والصرفي معا . ومن خلال إجراء استبدالي بين صيغة اسم الفاعل وصيغة أخرى نلمح الفرق : فلو كانت العبارة (فترى الذين أجرموا يشفقون) ، فالزمن مع الفعل يحصر الدلالة في ذهن المتلقي وكان الأمر يخص غيره ، وطول العبارة المتشكلة مقارنة مع الصيغة المستعملة ، وطبيعة التشكل الصوتي المتناغم من تتابع النهايات الصوتية في المجرمين ومشفقين ،وهذا لا يتأتى مع الصيغ الأخرى .

وتمر ظاهرة اسم الفاعل في تجليات تريح النفس عند كشف جوانب منها فعلى الباحث الأسلوبي أن يترك العمل الأدبي يمارس عليه تأثيره الشامل العميق دون أن يوجهه أي اهتمام

ثان للملامح والخواص الأسلوبية ، فالبحث الأسلوبي ليس عملية رياضية على مقولات مسبقة [10]. وسوف يظهر اثر ذلك في قوله تعالى : ((**قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**)) 69 ، فـ (صابراً) في الآية اسم فاعل وقع في موضع المفعول الثاني للوجدان وهو يكشف عن حالة لنفس مؤمنة ، امتثلت لأمر الله وتعلمت من الإرشاد الإلهي ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا الإ أن يشاء الله . وموسى عليه السلام على عزيمته الظاهرة في اسم الفاعل التي لو كان افعل (إن شاء الله اصبر) بدلاً من الصيغ المستعملة لما أعطت العزيمة نفسها فضلا عن الدلالة ، إلا أنه مع هذه العزيمة يتوكل على الله ، فاسم الفاعل فيه دلالة التجدد والحدوث وهذا مطلب رئيس في رحلة العلم التي لا تقف عند حد ودلالة التجدد والحدوث في اسم الفاعل دل على أن علم العبد الصالح (الخضر) لا يوجد عند موسى عليه السلام فأراد موسى عليه السلام بذلك أن يستزيد من العلم الذي تعلمه الخضر عليه السلام من لدن الله [11] .

ب- الصفة المشبهة باسم الفاعل

وهي من المشتقات التي تدل على اللزوم [12] وهي من الصيغ المتقاربة مع اسم الفاعل الصفة المشبهة من الفعل اللازم مضمون العين في قوله تعالى : ((**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا**)) 82 ، صورة من الثبات التي كان عليها آباء الغلامين من الصلاح فأكرمهما الله وذريتهما من بعدهما ، وتكررت الصيغة نفسها الدالة على العمل الصالح بالثبات في قوله تعالى : ((**وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا**)) 88 ، وفي قوله تعالى: ((**قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا**)) 2 ، فاقترنت الصيغة في كل مرة بالنتيجة الحسنة .

المبحث الثاني : اسم التفضيل

اسم التفضيل صيغة مشتقة من فعل على وجه مخصوص لبيان الزيادة في صفة مشتركة بين طرفين على وجه الحقيقة أو التوهم, (ويشمل زيادة الفضل وزيادة النقصان)[13] .

اسم التفضيل اسم مشتق من فعل أي لحدث لموصوف قام الفاعل أو وقع عليه بزيادة على غيره في أصل ذلك [14] .

كثر في سورة الكهف استعمال صيغة اسم التفضيل,ويعود ذلك لدوافع متعددة نتبينها من خلال الأمثلة التي وردت في السورة. فسورة الكهف من السور المكية [15]أي في مرحلة

الدعوة الأولى؛ لذا كان أسلوب القران الكريم في الإقناع والتأثير يستخدم من ضمن الأساليب (التفضيل)وهو عقد مقارنة بين طرفين .

يختار العقل السليم الأخير والأفضل ,ليعتاد البشر صحة الاختيار بين ما كانوا عليه من عبادة للأوثان وما تدعوهم إليه العقيدة الجديدة ,لذا فالقران الكريم ينوع في أساليب التعبير ليؤثر على العقل والعاطفة معا وتتماثل بعض صيغ التفضيل وتتكرر لتشكل ظاهرة أسلوبية تتفق شكلا ومضمونا .

ونستطيع أن نقسم حديثنا عن صيغة اسم التفضيل على ما يأتي :

أولا : أنواع المفاضلة

جاء اسم التفضيل على حالات مختلفة :

1. **ما يكتفي منه بذكر المفضل دون المفضل عليه : قد لا يكون من الضرورة ذكر المفضل عليه إذ لا وجه للمقارنة بين المفضل والمفضل عليه فيجتمعان على صعيد واحد,وفي تركيب واحد .**

فلا يليق الجمع بين المفضل والمفضل عليه كما في قوله تعالى((**وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا**)) (21) فعلم الله لا يوازيه علم ولا يقاربه,وليس من اللائق أن يذكر مع علم الله علم.ونرى تكرار الصيغة في مواقف متعددة .ومثل ذلك التفضيل في قوله تعالى: ((**سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا**))(22) , وفي قوله تعالى((**قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا**)) (26)

وهذا التكرار يرتبط ارتباطا عميقا ودالا على الفكرة الرئيسية في السورة المتمركزة حول العلم والتعليم؛إذ بدأت السورة بنعمة إنزال الكتاب على عبده تعليما له وتشريفا لمقامه أمام من يدعون إلهاً مع الله وينسبون له ظلما الولد دون أدنى علم أو دليل .

ومما حذف منه الاسم المفضل عليه ما في قوله تعالى ((**قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا**))(95) , فلم يذكر المفضل عليه ,فما كان من الله لا يماثله شيء,فحذف المفضل عليه بالإضافة إلى ما يعكس من نفسية ذي القرنين الذي اكتفى بما أعطاه الله من القوة والتمكين فلم يقبل ما هو أدنى منه من قوة البشر المحدودة .

2. ما يذكر فيه المفضل والمفضل عليه :

أما ذكر المفضل عليه فلكمة تراد ,فبها تفصيل للمفضل عليه وتوضيحا له ,إذ تم تحديد المفضل عليه وبيان قلة أهميته بالنسبة للمفضل ,ومن ذلك ما في قوله تعالى ((**إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا**)) (24) , فلهداية والرشاد من الله , وهما خير للبشر مما يعتمدون به على قدراتهم الذاتية .

لقد كشف اسم التفضيل جانبا من نفسية الرجل صاحب الجنتين في قوله تعالى ((**وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا**)) (34) , يلاحظ تكرار صيغة اسم التفضيل أكثر وأعز مع تنوع في التميز ,مالا ونفرا ,فهي من جانب نفس متعلقة بمتع الدنيا ويريد ان يكثر من التمتع بها فأطال الكلام عنها .وعلى الجانب الآخر الرجل المؤمن في قوله تعالى ((**وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا**)) (39) , فقد جمع المؤمن المتع باسم تفضيل واحد ولم يكرر, إذ هو لا يعد تلك المتع مجالا للمفاضلة بل ينفي أن تكون متعا حقيقية .واستبدل ذكر الجنتين بلفظ (جنتك) , فالمؤمن ينظر إلى الدنيا بمنظار الحقيقة ,فالجنة في منظور صاحبها عظيم (جنتين) , أما في منظور المؤمن فهي جنة واحدة ,وكذلك الأمر بالنسبة لاسم التفضيل .

ومن تكرار اسم التفضيل والتنوع فيها ما ورد في قوله عز وجل((**فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا**)) (81) , فحالة اسم التفضيل بين مفضل عليه وآخر تختلف ,بين ذكر المفضل عليه وحذفه , مع (خيرا) كان الحديث عن عملية استبدال بين طفل وآخر , أما مع الرحمة فلا استبدال ولذا لم يذكر المفضل عليه,فحذف ولا يليق أن يذكر وهذا من باب التأكيد لما قاله عبد القاهر الجرجاني :(بأن المحذوف لا يليق بأن يذكر حتى في نفس المؤمن)[16].

فالمؤمن العبد الصالح المتعلق برحمة ربه في التفضيل لبيان النعم والرحمة من الله .

3. **المفاضلة السلبية :**

فمما كان التفضيل فيه من النقصان ما جاء في الآية قال تعالى ((**هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**)) (15) , فزيادة الظلم نقص في الأخلاق ,فكان الكذب والافتراء على الله من أعظم الظلم ,والسياق من خلال الاستفهام يدل على المبالغة في هذا الظلم والافتراء ,ومما يلفت النظر في هذه الآية عملية الاستبدال الداخلي بين المفعول المطلق ونائبه , علما انه الممكن أن يأتي المفعول المطلق ذاته, واكثر ما يظهر جمال الانزياح هو العودة إلى اللغة المعيارية , فنبدأ في الجانب الصوتي

واختلاف النغمة الموسيقية في الفاصلة التي راعتها الآيات ,والتنوع اللفظي يثري النص ويشوق السامع في كثير من الأحيان ,إضافة إلى بعد عميق وهو تناسب اللفظ مع حقيقة المعنى ,فسمة التغير هي أساس عمل الظالمين, فيكون الكلام على وجه فينقلونه إلى وجه آخر افتراءً وكذبا

4. **التفضيل على التوهم :**

الكافر, صاحب الجنتين ,سيطرت عليه نفسية معاندة متكبرة ,فظهرت أبعاد من تلك النفسية في الآية الكريمة ((**وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا**)) (36) , فتوهم أن ما كان له في الدنيا سيجد له في الآخرة ما هو أفضل ,فعميت نفسه عن الحقيقة إذ توهم فيما كان وحتى فيما سيكون , بل وصل إلى الكفر ,فلم يربط ذلك بأمر الله ,بل حتى تحدث بأسلوب التأكيد (لأجدنَّ) وبمؤكدين .

ثانيا : حالات اسم التفضيل

ورد اسم التفضيل على حالات منها :

1- مفرد مجرد

وقد جاء اسم التفضيل مفردا مجردا من التعريف في قوله تعالى ((**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**))(7) ، ليبدأ الإنسان بالعمل حتى يصل الى النتيجة المبتغاة في قوله تعالى ((**هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا**)) (44) ، فالعمل الحسن الذي أشارت إليه الآية يوصل _بأذن الله _إلى ما عند الله من خير الثواب وحسن العاقبة ويعود اسم التفضيل في قوله تعالى ((**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**)) (46) ليؤكد على الربط بين العمل الحسن الصالح وما عند الله من الأجر والثواب والعاقبة وحسن الأمل بالله .

2- مضاف إلى نكرة

يأتي اسم التفضيل مضافا إلى معرفة أو إلى نكرة ,ومن الإضافة إلى النكرة في قوله تعالى ((**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا**)) (54) .

الإضافة في الآية لم تفد التعريف بل إفادة الاستغراق فشملت كل المخلوقات وتجاوزها الإنسان [17] علما أن السورة قد قدمت نماذج من أسلوب الحوار لتمنع الجدل الذي لا طائل منه

3- المحلى بأل :

يفيد اسم التفضيل في العادة المفاضلة بين طرفين زيادة أو نقصانا أما اسم التفضيل المعرف بال التعريف كما في قوله تعالى ((**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا**)) (103) فأنه يفيد

المبالغة إلى حد الذي لا يظهر فيه المفضل عليه فأعظم خسارة أن ينقلب الإنسان من شيء يتوقعه عظيم إلى نقيضه فهم يحسبون الخير عملهم ولكنهم فقدوا أساس الخير ألا وهو الإيمان بالله فأدى إلى فقدانهم ثمرة أعمالهم فكانوا لا يوازيهم أحد خسارة أبدا.

المبحث الثالث : الأفراد والجمع

تشكل ظاهرة الأفراد والجمع في النص القرآني في أغلب السور ظاهرة أسلوبية تستدعي الوقوف عندها والتأمل فيها يجد طرافة ومعاني تجلل النص الأدبي تنكشف من خلال دراسته وتتحقق من خلال الانسجام فيما بينها وبين النص الأدبي بشكل لطائف بلاغية .

ومن المتفق عليه اختلاف دلالة المفرد عن دلالة الجمع ولكن النص القرآني ولحكمة يقتضيها الاستعمال بشكل يتناسب مع المعنى والمقام تتبادل الصيغ فيما بينها فيستخدم الجمع والمشار إليه (الدلالة)للمفرد والعكس يكون مع المفرد فيعدل عن الاستعمال الأصلي في اللغة إلى ما يقتضيه السياق فيشكل عنصر لفت انتباه المتلقي إلى ما وراء السياق الظاهري إلى معاني المعاني

وقد يحتاج الدارس لمعرفة أسرار هذا العدول الى الخبرة والمعرفة والدراية باسرار اللغة (ومن هذا النوع ألفاظ يعدل عن استعمالها من غير دليل يقوم على العدول عنها ولا يستفتى في ذلك إلا الذوق السليم)[18]

ونستطيع أن نقسم هذا المبحث على نقطتين :

أ- **المفرد**

لقد جاء المفرد في سورة الكهف ليدل على معان متعددة منها :-

1- التقليل

إذ عد الكلام الكثير كلمة كما في قوله تعالى ((**مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا**)) (5) فأن كلامهم من سقط المتاع ما ذكر منه وما بقي فالكلمة هنا تشمل عدة كلمات قالوها (اتخذ الله ولدا) فجاء التعبير عن الجمع بصيغة المفرد تهوينا وتحقيرا لشأن قائليها وكأن كل كلامهم لا يعدل كلمة .

2- نفي الجنس

فالنفي أنواع فمنه النفي للمفرد ليشمل الجمع فنفي العوج في قوله تعالى ((**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا**)) (1) نفي جنس العوج عن القران الكريم فنفي القليل (المفرد) نفي للكثير أيضا [19] .

3- العدول عن الجمع للخفة :

وقد يكون ذكر المفرد في السياق ألين عبارة وأخف مسلكا وأدق تعبيرا كما في قوله تعالى ((**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**)) (79) فكان الملك الظالم يأخذ السفن ولكن لفظ سفينة المفرد في هذا السياق أخف من الجمع سُفُن (فترك الجمع لثقله بتقارب مخارج حروفه وثقل تتابع الضمة)[20].

ومن العدول عن الجمع من باب الخفة لفظا والتقليل من شأن المضلين لفظ (عضد) في قوله تعالى ((**وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا**)) (51) السياق في هذه الآية كان عن المضلين فيقتضي التعبير بالجمع ولكنه عدل عن الجمع إلى المفرد ليحقق بذلك لطائف بلاغية وصوتية مما يشكل وحدة انسجام ويظهره حتى في الكلمة الواحدة من النص فالمضلون على اختلاف توجهاتهم وكثرة عددهم فهم عند الله شأنهم قليل ((فأفرد العضد في مقام الجمع تهوينا من شأن هؤلاء المضلين فهم مخلوقون ضعفاء لم يشهدهم الله خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وكذلك التحقير المفرد مع النفي وذلك أدل على حقارتهم [21] ومن الناحية الصوتية فأن لفظ الجمع عُضُدا فيه صعوبة وعدم انسجام أما من حيث اللفظ فإن كلمة عضدا أخف على اللسان من عُضُدا ومحاولة اللفظ بها تبين مدى صعوبتها بالمقارنة مع اللفظ المفرد والفاصلة وحسب التشكيل الصوتي تكون مع المفرد أكثر ملائمة من الجمع .

وتدل صيغة المفرد على تشابه الأمم السابقة في العذاب لتشابههم في الكفر [22] ويظهر مثل ذلك في قوله تعالى ((**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا**)) (55) لقد خص الله الأمم السابقة بعذاب يتناسب مع طبيعة الإثم الذي كانوا يرتكبونه فالعذاب مختلف ولكن التعبير عنه جاء بالمفرد ليدل على أن القاعدة والميزان واحد فعدل عن الجمع (سنن) إلى المفرد لبيان تلك القاعدة الواحدة التي لم تتغير قديما ولن تتغير لاحقا ومثل ذلك في قوله تعالى ((**الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا**)) (101) الكافرون على اختلاف في بواعثهم ومذاهبهم فهم متماثلون في قلوبهم نتيجة ضلالهم وكأنهم جميعا قد غطي على عيونهم بغطاء واحد فهم متماثلون ولا يبصرون شيئا . ومما عدل فيه عن لفظ جمعه إلى المفرد السعي المتصف بالضلال في قوله تبارك اسمه ((**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**)) (104) , الأعمال التي يقوم بها الإنسان في حياته متعددة متنوعة وكذلك سعيه ولكن الكافرين أعمالهم تتوحد في المصير فتحبط أعمالهم فلهوانها وقلة شئنها عادت شيئ

واحد في مصير واحد وعن تماثل الصورة وتوحد الجنس قال الله عز وجل ((**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**)) (49) الكتاب الذي تسجل فيه أعمال العباد يخص كل واحد منهم كتابه فيرى كل أعماله قد أحصيت له فيه فعدل من الجمع إلى المفرد لأمرين أحدهما التشابه بين الكتب فكلها تتصف بالدقة والشمول في ضبط أعمال البشر والآخر الجانب الصوتي فلفظ المفرد أخف من الجمع ووضعت الكتب .

4 – استغراق الجنس

ومما أغنى مفرده ذكر جمعه لفظ البحر في الآية ((**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**)) (109) . والمقصود بالبحر جنس البحور والمراد بالبحر الجنس [23] ومما يتعلق بالتصور الذهني والخبرات الخاصة بالبشر لعظم البحر واتساعه يجعل كلمة البحر تكون ملء السمع .

ب – الجمع

ويفيد الجمع عدة معانٍ فمنها :

1– التحسر

ما يسبب الحسرة والندامة يوم القيامة كثرة الأعمال المحبطة فتتحول أكوام بلا طائل أو بلا أدنى فائدة أمام أعين أصحابها وهم في أشد حاجتهم إليها ويظهر ذلك جليا في قوله تبرك اسمه ((**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**)) (103) , فالأخسرين فيه أكثر من جانب في العدول ما بين صيغة الاشتقاق الخاسرين أو الأخسرين ولكن الصيغة المستعملة أكثر إفادة للمبالغة والتأثير فزيادة الأعمال لم تزدهم إلا نديمة وتحسر على أكثرة الأعمال الضائعة فلو جاء على الأصل التميز لكان الأخسرين عملا [24] فلا تشكل مع المفرد مثيرا بل أقل تأثيرا .

2- دقة المعنى

ويقوم اللفظ بدور في بعث جوانب المعنى في دلالته وتعدده ومما ورد على هذا ما جاء ((**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا**)) (45) , الريح في اللغة على الأغلب فيها العذاب والرياح فيها الرحمة [25] أما هنا فإن الرياح خرجت عن أصلها في اللغة وعن الكثرة الغالبة في الاستعمال إلى معنا آخر فيه الألم الذي يتحقق من حركة الرياح التي تهب عليهم من كل صوب واتجاه لا يستطيعون معها جمعا لثمرهم ولا يتوقعونها من أي اتجاه تئتي لكثرتها

واختلافها عليهم كما يشعر التعدد في الصورة أحيانا بالتوسع مما يحدث عنصر المفاجئ من انتقال ألفاظها بين صيغة المفرد والجمع .

3- دلالة صيغ جمع القلة وجمع الكثرة

أما جمع القلة وجمع الكثرة فإن في صياغتهما ودلالتهما اللغوية ما يقتضي الاستعمال في بعض الأحيان أو العدول عن صيغة إلى أخرى حسب ما يقتضي الحال في أحيان أخرى فجمع القلة يدل على العدد من الجمع لا يزيد عن تسعة فإن زاد فهو للكثرة وقد أستدل بعض علماء التفسير على العدد الذي كان مبهما من صيغة الجمع الواردة في الآية الكريمة **((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى))** (13) , والفتية جمع قلة أي لا يزيدون عن تسعة وهذا ما أكده النص وعلماء التفسير بأن العدد لم يتجاوز الثمانية فالتعبير لم يشر صراحة إلى العدد بل ألمح إليه من صيغة القلة وكان التعبير بالتلميح متلائما مع الأسلوب القرآني في سورة الكهف إذ التركيز على جوهر الحدث .

المبحث الرابع : الفعل المبني للمجهول

باب أطلق عليه النحاة ما لم يسم فاعله ، فيسد مسد الفاعل مفعوله أو المصدر أو الجار والمجرور أو الظرف [26]، وذلك لأغراض منها تعظيم الفاعل أو تحقيره أو علم المخاطب بالفاعل أو الجهل به ، ومنها طلب الإيجاز أو إيثار غرض السامع ومنها بيان شهرة اختصاص الفعل [27] وغير ذلك يكون لأغراض بلاغية منها :

1ــ إشاعة جو من الرهبة

العناية اللاهيّة كانت تحفظ الفتية، ولكن لا يعلم البشر كنهها ، ففي وصف حالتهم وما يحل بمن اطلع عليهم ، قال تعالى : **((وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا))** 18 ، سر غامض كائن وراء هذا الرعب مصدره وما يمكن أن يصل إليه، فالهيئة التي كان عليها الفتية أهل الكهف وراءها أسرار ،

شاركت صيغة المبني للمجهول في أكناف هذه الأسرار وأحسب أن خلاف المفسرين في تعين أسباب الرعب هو هذه الصيغة [28].

ومما يشيع جوا من الرهبة ما نشعر به في قوله تعالى : **((وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا))** (42)، خفاء في الكيفية والطريقة التي تمت بها الإحاطة ووضوح الأثر . فلا يعلم إذا كانت

صاعقا أم نارا التي أتت على الجنة فأحرقتها . هذا الغموض على الأغلب ، شاركت صيغة المبني للمجهول في تحقيق أبعاده ، وتزيد من إشاعة جو الرهبة التي تسيطر على الموقف ، فلو عُرف المسبب لقلل ذلك من الأثر الذي ما زال إلى يومنا هذا لا يُعْرَف متى يأتي ، ولكنه يأتي في الوقت الذي لا يتوقعه ؟ أهل المعصية من الكفار ومن حقت عليهم العقوبة .

ومثل ذلك ما ورد في وصف حال البشر يوم القيامة في قوله تعالى : ((**وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا**)) 48 ، جميع الخلائق يُعرضون على صعيد واحد ، وفي هيئة واحدة ، لاحول لهم ولا قوة في ذلك ، فلو كانت الخلائق صاحبة الفاعلية لفعل العرض والتجمع صفوفا . لقلل ذلك من رهبة الموقف وخفف من حدته ، ولكنه موقف تجلله الرهبة أمام رب العالمين ,كان لصيغة المبني للمجهول دور في إشاعة تلك الرهبة.

ويتكرر الأسلوب مع الصيغة نفسها وفي الموقف نفسه في قوله تعالى ((**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ**)) (49) ,ومثله في قوله تعالى ((**وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا (56) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ** (56) وفي قوله تعالى ((**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا**)) (56) فجميع الحالات التي ورد فيها المبني للمجهول مرتبطة بجو الرهبة والعذاب والإنذار .

2- الشهرة والاختصاص للفعل

ومن ذلك ما جاء في قصة موسى والعبد الصالح ورحلته في طلب العلم قال تعالى ((**قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**)) (66) , فصياغة الفعل (علمت) مبني للمجهول , والفاعل لها معلوم علما تاما , إذ العلم وكما يدركه موسى (عليه السلام) أنه من الله ؛ ولذا يكون عدم ذكر الفاعل ليدل على العلم المطلق به ؛ واشتهار الفاعل واختصاصه به , كفعل الخلق أيضا . فإذا تساوى الذكر والحذف في السياق كان الحذف أولى ؛ لما للحذف من بلاغة تتحقق بالإيجاز[29].

3- إنكار الفاعلية

وقد يحذف الفاعل لحالة من الإنكار تسيطر على المتكلم كما في قوله تعالى على لسان صاحب الجنتين ((**وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا**)) (36), فالرجل وصل به الأمر والكبر إلى الكفر والى إنكار البعث وقيام الساعة ,بل وتحدى بأن سيكون له خيرا مما أعطي في الدنيا.فقد تغيبت الفاعلية لدى هذا الكافر فكرا واعتقادا وكذلك تغيبت من عبارته .

4- التحرز من ذكر الفاعل مع الفعل

وقد يكون الفعل مستكرها؛ولذا يخشى من النطق به وربطه مع الفاعل أن يؤثر على فهم السامع أو لسوء الظن بالفاعل. ومثل ذلك ما جاء في الآية المباركة : ((**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ**)) (البقرة 216) ، ومن التحرز من ذكر الفاعل الوارد في سورة الكهف ((**وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ**)) (29) , فالله تعالى المغيث وهو الذي يطلب منه الغوث والرحمة وعلى عادة البشر يطلبون من الله في الحياة الدنيا فيرحمهم ويغيثهم ,أما في جهنم فلا تصلهم الرحمة؛ لذا كان الغوث على غير العادة لم ترتبط بذكر الفاعل .

5- الانسجام اللفظي

الانسجام اللفظي لا يقل بحال من الأحوال عن توافق المعنى,فهو يشكل مرتكزا بلاغيا ناطقا فاعلا , ومثل ذلك يظهر في قوله تعالى: ((**أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا**)) (31) فيمكن إعادة الصيغة إلى أصلها_يحليهم الله فيها– فالتعبير المتوقع على جماله المعنوي , إلا أن التعبير في الآية يعطي انسجاما بين (يحلون) و(يلبسون) , جمالا إيقاعيا على رأس كل جملة من جمل الآية

الهوامش:

[1] ينظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 3 216

[2] لسان العرب ج 8 ، ص5 .

[3] منازل الرؤيا منهج تكاملي في قراءة النص سمير شريف ص 97

[4] ينظر الكشاف ج 4 ص23 روح المعاني ج 11 ص 282

[5] ينظر تفسير روح المعاني ج 11 ص286

[6] ينظر أوضح المسالك ج3 ص217 ,تفسير كشاف ج 4 ص2 البحر المحيط ج 7 ص429

[7] ينظر شرح الرضي على الكافية ج 1 ص 510 شرح ابن عقيل ج2 ص 244

[8] ينظر الكشاف ج 4 ص6 روح المعاني ج 11 ص111

[9] ينظر الجمع لأحكام القران ج 10 ص350 الفتح القدير ج4 ص391

[10] علم الاسلوب مبادئه واجرائاته صلاح فضل 168

[11] ينظر مجع البيان في تفسير القران ج 6 ص329 الفتح القدير ج 4 ص409

[12] أوضح المسالك ج 3 ص 345 شذى العرف في فن الصرف ص 124

[13] ينظر حاشيو الصبان على شرح الأشموني ج3 ص43

[14] أسرار النحو أحمد ابن سليمان ص 227

[15] (قال ابن عباس مكية إلا آية (وصبر نفسك معى الذين يدعون ربه)فنزلت بالمدينة)ينظر مجمع البيان ج6 ص 273 وينظر الجامع لأحكام القران ج 10 ص301

[16] دلائل الاعجاز118

[17] ينظر روح المعاني ج 11 ص 287

[18] المثل الساءر في أدب الكاتب والشاعر ضياء الدين ابن الأثير ج 1 ص274
[19] ينظر الكشاف – 3 ص 494 الميزان في تفسير القران ج 13 ص 126
[20] الإعجاز البياني في صغي الألفاظ محمد الأمين الخضري ص 85
[21] الصدر نفسه ص 48
[22] ينظر روح المعاني ج 11 ص283
[23] ينظر الكشاف ج 4 ص 58 روح المعاني ج11 ص428
[24] الإعجاز البياني في صيغ اللفاظ ص 132
[25] معجم مفردات الفاظ القران 422
[26] شرح الرضي على الكافيةج 1 ص 216 أوضح المسالك ج 2ص 245 248 جامع الدروس العربية ج ص
[27] أسرار النح ابن كمال باشة ص101 جامع الدروس العربية ج ص
[28] ينظر مثلا الكشاف ج 4 ص6 مجمع البيان ج 6 ص287 روح المعاني ج 11 ص 180 182
[29] دلائل الاعجاز ص146 –172 .

المصادر

1– أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ابو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف الانصاري ، ت761 ، بيروت ،ط5
2– أسرار النحو أحمد ابن سليمان ابن كمال باشا تحقيق احمد حامد ، عمان : منشورات دار الفكر ، 1991
3– الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ: محمد الأمين الخضري , ط1 ،القاهرة :مطبعة الحسين الاسلامية ،1413–1993
4– تفسير البحر المحيط ،ابو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان ت745
5– تفسير روح المعاني: شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الالوسي 1270
6– الجامع لأحكام القران : محمد بن احمد الأنصاري القرطبي ، القاهرة : دار الكتاب للطباعة والنشر
7– جامع الدروس العربية
8– حاشية الصبان على شرح الأشموني
9– دلائل الاعجاز:ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، دار الكتاب العربي –بيروت ، ط1 1995 ت: د محمد التنجي
10– شذى العرف في فن الصرف
11– شرح ابن عقيل :ابن عقيل ت769
12– شرح الرضي على الكافية
13– علم الاسلوب مبادئه واجرائاته صلاح فضل ، القاهرة : مؤسسة مختار للنشر والتوزيع 1992 .
14– الفتح القدير
15– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : الزمحشري محمود جار الله :ضبط وترتيب محمد عبد السلام شاهين ، ط1،بيروت : دار الكتب العلمية 1415–1995 .
16– لسان العرب.محمد بن مكرم المصري ابن المصري ، ابن منظور ،بيروت : دار صادر 1414 –1994
17– المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ضياء الدين ابن الأثير، بيروت : دار الكتب العلمية 1419 –1998
18– مجمع البيان في تفسير القران : ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي
19– معجم مفردات الفاظ القران، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، دار القلم دمشق
20– الميزان في تفسير القران
21– منازل الرؤيا منهج تكاملي في قراءة النص سمير شريف استيتية ،ط1 الاردن : عمان ، 2000